

دور العامل الجغرافي والبشري
في تحديد ملامح التاريخ الحضاري الإغريقي
The role of geographical and human factors in shaping Greek
civilization

د. رحمان بلقاسم جامعة الجزائر 02

تاريخ الاستلام: 2025/12/06 تاريخ القبول: 2025/12/20 تاريخ النشر: 2025/12/25

الملخص:

تعد الحضارة الإغريقية ومنجزاتها من أهم المواضيع التي لاقت رواجاً كبيراً بين الدارسين، سواء مؤرخين أو أثريين من مختلف الأقطار والاتجاهات الفكرية والتاريخية، حيث انصبّت البحوث التاريخية حول دراسة ما توصل إليه الإغريقي من منجزات وعلاقتها بمنجزات الجوار الجغرافي ممثلاً في الحضارات الشرقية، كالمصرية والفينيقية، الرافدية، والفارسية، حيث تجلّى ذلك في الدراسات الحضارية المقارنة، في حين اهتمت الدراسات والابحاث الأثرية بالمخلفات الأثرية الإغريقية الظاهرة والمطمور وكذا المغمورة، والملاحظ أن أهم عامل كان له الدور الفعال في هذا الظهور الحضاري الإغريقي المميز هو العامل الجغرافي وكذا العامل الجغرافي بفضلهما تشكلت أولى اللبنة للحضارة الإغريقية القديمة، وذلك بإجماع الباحثين على اختلاف مشاربهم الثقافية، وعليه حاولنا في هذه الإطالة أن نظهر بإيجاز أهمية هذين العاملين مع إعطاء نموذج من هذه المنجزات عن ذلك التطور الحضاري.

الكلمات المفتاحية:

بلاد الإغريق، أثينا، إسبرطة، كريت، الحضارة الإغريقية، الأوليغارشية، مقدونيا، أتيكا، فيليب، الإسكندر الكبير.

Abstract:

Greek Civilization and its achievements are among the most important topics that have attracted considerable attention among scholars ,whether historians or archeologists,from different countries and intellectual and historical backgrounds ,historical research has focused on studying the achievements of the Greeks and their relationship to the achievements of their-geographical neighbors , represented by Eastern civilizations such as the Egyptian, phoenician,Mesopotamian, and Persian civilizations , as evidenced in comparative cultural studies ;while archaeological and research have focused on visible documented,and excavated archaeological records ; Its not worthy that the most important factor that played an effective role in this distinctive Greek cultural-emergence was the geographical factor, as well as the human factor, thanks to which the first building blocks of ancient Greek civilization where formed ,according to the consensus of researchers cultural backgrounds ;Therefore , in this overview,we have attempted to briefly highlight the importance of these two factors , while providing examples of the achievements of this cultural development.

Keywords:

Greece, Athene, Sparta , Crete ; Mycenaean civilization , oligarchy , Macedon , Attica , Philip, Alexander the Great .

لقد كان للعوامل الجغرافية أثر كبير في تاريخ المجتمع اليوناني وحضارته حيث شكلت البيئة المكانة أو الظروف المادية التي وجد فيها هذا المجتمع، ويجمع المؤرخون على أن هذا العامل ترك بصماته الواضحة في مسار التاريخ اليوناني القديم، وعليه تتعرض إلى هذه العوامل:

1. الجبال والأنهار:

تتميّز هذه البلاد بطبيعة جغرافية وعرة في عمومها، فالجبال تشغل الجزء الأكبر من سطحها (4/5)، وهي عبارة عن سلاسل جبلية تخترقها في كل الاتجاهات

فقسمتها إلى مناطق صغيرة منعزلة عن بعضها، كذلك شكلت الأنهار عوامل فصل لانعدام مجاري سهلة وسليمة، وعليه فالتضاريس اليونانية قسمت السكان إلى مجتمعات صغيرة في هذه الفترة القديمة. فقامت كيانات سياسية على شكل مدن محاطة ببعض القرى. من هنا انبثق نظام المدينة الدولة.(إبراهيم نصحي ، 1973 ، ص 13)

ومن أشهر هذه الجبال التي مزقت اليونان جبال جغرافية (Geranea) بين كورنثة (Korinthos) وأتيكا (Athika)، وجبال كراثة (Kerata) تقع بين هاتين المنطقتين، ويربطها طريق خطيرة مرتفعة إلى أن توسع فيها الامبراطورية هادريان. وهناك أمثلة كثير لهذه السلاسل الجبلية التي يصعب عبورها. (جبال ليكون، بندوس، إبيروس)، ومن أشهر أنهارها (اخيلوس بنوس). (لاسيد أحمد علي الناصري ، 1976، ص 19)

من هنا كان لهذه الظروف الطبيعية أن أشاعت روح الانفصال، وكذا الاستقلال في ظل غياب النزعة القومية الموحدة، وتجلت روح الانفصال في مواقف هذه الدويلات من العدو الخارجي أو ضد بعضها البعض، حيث أشعلت الكثير من الحروب امتدت لعشرات السنين مثل حرب (أثينا وايجة) و(أثينا وإسبرطة)، لكنها عرفت تطورًا سياسيًا سريعًا من نظام حكم الفرد إلى النظام الشعبي أو الديمقراطي.(ساراتون ، ج ، 1963 ، ص 10)

2. التربة: تتمثل في تلك السهول الصغيرة المتفرقة، وهي تربة فقيرة انتشرت فيها زراعة الزيتون، والكروم، حيث افتقرت مدن المنطقة للحبوب، مما اضطر الأفراد مدنيين وعسكريين إلى الاستزاق في صفوف الجيوش الأجنبية. واستعملت في حروبهم سياسة تدمير المحاصيل الزراعية كجزء من استراتيجية الحروب العسكرية إضافة إلى حروب القوافل والطرق التجارية.(علي عبد الواحد وافي ، 1960، ص 20)

3. البحر: لقد كان للبحر من العوامل التي عوضت اليونانيين النقص في الأراضي الصالحة للزراعة عوضتها بموقعها الجغرافي الذي ساعدها على تنشيط الملاحة

البحرية التجارية، إضافة إلى الهدوء الذي يمتاز به البحر المتوسط وكذلك بحر إيجه، حيث هاجر عدد من اليونانيين إلى هذه الشواطئ وأقاموا العديد من المدن والدويلات اليونانية في العصور القديمة، وأدى ذلك إلى ظهور القراصنة الذين قضوا تحت ضربات بومبيوس الروماني. (لازمحمد غلاب ، 1952 ، ص 14)

4. مراحل التاريخ الاغريقي:

لقد اتفق أغلب المؤرخين على تقسيم التاريخ الاغريقي على النحو التالي
تجنباً لمناصرة أي مذهب تاريخي، وعليه جاء التقسيم على النحو التالي:

أ. العصر المبكر وينتهي حوالي 1100 ق. م:

1. عصر ظهور "دولة المدينة (500 - 1100 ق. م)، ويرى المؤرخون أن هذه الفترة شهدت البدايات الأولى للتكوين الحضاري، والذي عرف بنظام دولة المدينة، والفترة الثانية حيث اكتمل فيها تطور هذا النظام بين 800 و 500 ق. م. (chamoux , 1963 p 18)

2. العصر الكلاسيكي، وفيه شهد استمرار تطور التكوين الحضاري للدولة المدينة ثم يتحدد بداية القرن 5 ق. م وأواخر القرن 4 ق. م. (43 cloche , po, 1934 p)
3. الحضارة الإيجية (الكريتية المنوية): نسبة إلى بحر إيجه، وتعرف بالكريتية وبالمنوية، يعود ظهورها إلى العصر الحجري الحديث، أبرز أماكنها جزيرة كريت، وبدأت في الانتشار على المنطقة في 1600 ق. م. ومن أبرز أماكن انتشارها مدينة كنوسوس ومدينة فايستوس. عرفوا الكتابة، وتطور الفن المعماري، وحققت تطوراً بين 400-1600 ق. م، وقسمها البعض إلى 3 أقسام: العصر المنوي المبكر 1800-2600 ق. م، والوسط 1600-1800 ق. م، المتأخر 1200-1600 ق. م. (45 Dussau, 1914 ,p)

4. الحضارة الميكينية: هي يونانية الأصل ظهرت 1600 ق. م، وانتهت في 1100 ق. م، كانت بدايتها متأثرة بالحضارة الكريتية، ظهرت في مدينة ميكني (Mykenea) شمال جزيرة البيلوبونيز، ولقد عثر على الكثير من آثارها المختلفة، والتي أكدت مدى تأثير حضارة كريت في المنطقة. وفي القرن 13 ق. م بدأ ثم شهدت غزو

شعوب الشمال أشهرهم الدوريون، بعد أن تم القضاء على طروادة، فساعد عصر الظلام امتد 1000ق. م- 800ق. م. (p, 1923, A, Jard 30)

ب. عصر دولة المدينة:

ساهمت الهجرات والغزوات الداخلية والخارجية في ظهور مجتمع جديد اتخذ نظام دولة المدينة، ولكل منطقة نظاما متأثرين بالسومريين، والفينيقيين، وتطور نظام المدينة الدولة منذ بداية القرن 8ق. م حيث جاء النظام الأرستقراطي بديلاً للملكي.

ج. ظهور أثينا واسبرطة:

أدت عوامل عديدة إلى ظهور هاتين المدينتين الدولتين.

د. النظام الأثيني: يعد نموذجاً أساسياً في تطوّر النظام السياسي لدولة المدينة بمختلف مراحله، في شبه جزيرة أتيكة، اقتصادها متنوّع (تجارة، زراعة، صناعة حرفية...) حيث كانت السيطرة على هذه المواد متعادلة فتشكلت تكاملاً أدت إلى ميلاد النظام الديمقراطي، أشهر موقعها ثيسوس الذي حاول توحيد مجتمعات الجزيرة، ثم سيطر الأرستقراطيون على الحكم، وأشهر مشروعهم "دراكون" مكن من تسلط الأرستقراطي إضافة إلى التشريعات الاقتصادية والسياسية في أوائل القرن 6 ق. م حيث الأساس الدستوري لحكم الأقلية (الأوليغارشية). ثم جاء بيبس التراتومي بحكم فردي (عصر الطغاة) 54ق. م، ثم جاء كليستينيس بدستور 503-502ق. م حيث عاد الأثينيون إلى الحكم الفردي. (Jard, a ?LA GRÈCE)

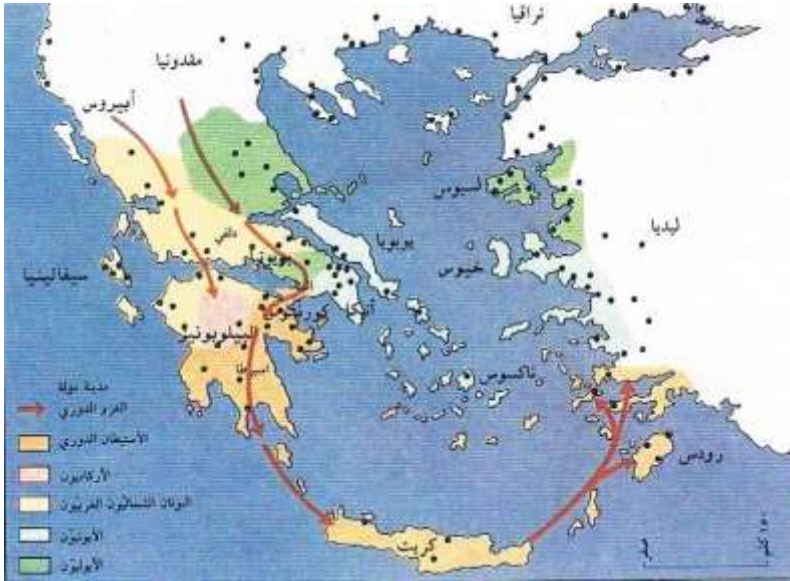
هـ. النظام الاسبرطي: لكن كانت هناك ظروف عديدة أدت إلى ظهور هذا النظام، ويرجع الباحثون تشكل هذا النظام إلى القبائل الدورية الغازية التي تسلطت على سكان المنطقة مكونين مجتمع عسكري، وصنفوا نظامهم بالديكتاتوري، رغم أن دستورهم حاولوا فيه تحقيق ذلك. ولقد حققت إنجازات عديدة اقتصادية وسياسية وعسكرية. (سيد أحمد علي الناصري ، 1976 ، ص 97 à)

ومن أبرز الأحداث التي واجهت الاغريق حروبهم مع قرطاجة والامبراطورية الفارسية، حيث أدى إلى ظهور دور أثينا وخاصة عند قيام حلف ديلوس.

و. ظهور مقدونيا وإخضاع الدويلات اليونانية:

لقد تمكن الملك المقدوني فيليب من السيطرة على المنطقة حيث أنهى نظام الدولة المدينة بقيادة فيليب حيث تولى ابنه الحكم 336ق. م الإسكندر المقدوني الذي سيتوجه نحو غزو الشرق، وعند وفاته انقسمت الإمبراطورية بين قادته، وذلك بعد أن حقق سلسلة من الانتصارات طيلة 9سنوات من حملته العسكرية، (325-334ق. م) حيث توفي سنة 323ق. م، وبذلك ساهم في ذلك الامتزاج الحضاري بين الحضارات الشرقية والحضارة الاغريقية مما أدى إلى ظهور ما يعرف بالحضارة الهلنستية.(سارتون ، 1963 ، ص 63)

من هنا يظهر وأن النخب السياسية المفكرة قد أثرت الفكر السياسي الإغريقي، وأوجدت أنظمة تساير العصر والتطور، وتحافظ على مصالح الدولة والمجتمع.



مسيرة الحضارة: اليونان حتى ظهور أثينا

من مظاهر الحضارة الإغريقية -تطور الفكر السياسي-

تمكن الإغريق من ترك بصماتهم في شتى الميادين، مما جعل أصحاب النظرية المركزية الأوروبية يقولون عن تقييمهم لمنجزات هذه الشعوب بـ "العبقرية والاعريق" التي أصبحت مرجعية لكل المنجزات الأوروبية اللاحقة بدءاً من الفترة الرومانية، بل وحتى اليوم فهي عنوان فخرهم، ودليل تفوقهم الحضاري على بقية الشعوب منذ القديم.

الفكر السياسي الإغريقي:

إن الفكر السياسي لا يعني النظام السياسي، فالنظام السياسي هو النظام السياسي القائم في المجتمع فعلاً، وبكل مؤسساته، والفكر السياسي هو الفكر الذي يتعرض للنظام السياسي القائم، اتفاقاً أو إختلافاً معه، أو يتحدث عن النظام السياسي الذي ينبغي أن يكون. (لطفي عبد الوهاب يحي، الديمقراطية ... ، 1969 ، ص 15)

والفكر السياسي اليوناني تميّز عن غيرهم من الشعوب القديمة سواء من حيث القدر أو الكمية التي خلفها لنا المجتمع اليوناني من هذا الفكر. ولقد أدّت ظروف المدن اليونانية إلى تعاقب نظم الحكم فيها، حيث تعاقب على هذه المدن خمس نظم في ثلاثة قرون (الثاني-الخامس ق. م). (لطفي عبد الوهاب يحي ، دراسات ... ، 1968 ، ص 24)

1. مرحلة تكوين الفكر السياسي اليوناني:

أ. المرحلة الأولى التكوين: عرفت هذه المرحلة على أساس أن الأركان الأساسية للنظام الذي ينبغي أن يسود المجتمع اليوناني، عرف ذلك بالتكوين الهيكلي

للدولة، حيث ظل يدور داخل هذا الإطار العام من التكوين، ومن خلال نخب هذا المجتمع نستشف طبيعة هذه المنظومة الفكرية السياسية. علي عبد اللطيف أحمد علي ، 1976 ، 27)

1. هوميروس والمجتمع المنظم:

تجلت في ملحمتي هوميروس الإلياذة والأوديسة، وفي هذا العصر تراجع النظام الملكي، وبداية ظهور القوة الأرستقراطية الزراعية، والطبقة العامة بعيدة عن المسرح السياسي. ومن أشعار هوميروس نعرف إلى أن المجتمع اليوناني يريد تحقيق السلام الاجتماعي في حدود الوضع السياسي القائم عن طريق الحوار والمناقشات في ساحة المدينة. (لطفي عبد الوهاب يحي ، هوميروس ، 1968 ، ص 13)

2. هيزودوس وظهور المجتمع الطيب:

لقد كان المحور الأساسي الذي يدور حوله مفهوم الدولة في الفكر السياسي اليوناني هو المجتمع الطيب في منتصف القرن 9 ق. م، حيث نسج من ملحمتي الشاعر هيزودوس، حيث تطور مفهوم الدولة، والملحمتان هما (الأعمال والأيام)، وملحمة الآلهة في منتصف القرن 8 ق. م حيث كانت الطبقة الأرستقراطية قد اختصرت على النظام الملكي، وسيطرته على كل شيء سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا، مما أضر بمصالح الطبقة العامة المسحوقة حسب الشاعر هيزودوس، وفي هذا الوقت اكتمل بناء نظام الدولة المدينة بمجتمع منظم له مقومات الدولة. وأخيرا دعا الشاعر إلى ترسيخ فكرة العدالة كأساس أخلاقي للتعامل بين الطبقات. (Andrew, 1965, p 65)

ب. مرحلة التحديد: وفيها تحدد الاتجاه الذي تتخذه مقومات هذه الدولة، حيث أن المفكرين اتجهوا إلى تحديد نوعية القيم التي تعد أساس مقومات الدولة والمجتمع، ويمكن أن نقرأ ذلك في كتابات هذه النخبة الاغريقية:

1. سولون والمجتمع المتوازن:

لقد كانت حركة التوسع للمجتمع اليوناني في القرن 8 ق. م، حيث تبعها ازدهار تجاري متزايد أدى إلى ظهور طبقة صاعدة من التجار، وتنامي وعي الطبقة العامة، حيث حاول سولون في تشريعه إيجاد نوع من التوازن النسبي بين الطبقات الاجتماعية لتحقيق السلم الاجتماعي. (59 Cloche po , 1952 , p)

2. إسخيلوس والحرية الجماعية:

لقد كانت فترة أوائل القرن 5 ق. م أوضاع بلاد الإغريق متغيرة كثيرًا، حيث استطاع المجتمع اليوناني استخلاص حريته السياسية بالقضاء على حكم القضاة، مما مكنه من مواجهة الغزو الفارسي (490-480 ق. م)، وعليه اعتبر الفكر السياسي اليوناني قيمة الحرية أساس النظام الذي ينبغي أن يسود المجتمع، حيث جاء ذلك في كتابات الشاعر المسرحي إسخيلوس (456-525 ق. م) وخاصة في مسرحية (الفرس) (Persea) التي عرضت في 472 ق. م، ويقصد بذلك الحرية السياسية الجماعية. (95 Higneth 1953 p)

3. هيرودوتس وحرية الكلمة:

هيرودوتس (425-485 ق. م) من المثقفين الذين ظهوروا في هذه الفترة، حيث تضمنت دراساته التاريخية أفكاره عن الدولة ومقوماتها، حيث قارن بين مميزات وعيوب كل من الحكم الفردي، وحكم الأقلية، والحكم الشعبي، ومن خلال كتاباته يظهر مقتته للحكم الفردي، ويؤيد المساواة في فرض التعبير أو حرية الكلمة، وتعني الممارسة عنده نقيض الاستبداد. (لطفي عبد الوهاب يحي ، هوميروس ، 1968 ، ص 58)

4. الدولة بين المواطن والدستور:

يلاحظ أن المقوم الأساسي للدولة هي حديث كمفهوم وموضوع مناقشة، فإذا كانت الحرية عند اسخيلوس هي الحرية السياسية أو الجماعية، إلا أنها عند هيرودوت هي حرية الكلمة، وتطوّر النقاش حول إشكالية المواطن والدولة بين

عديد المفكرين والمدارس الفلسفية، منهم السوفسطائيون منهم (بروتاجوراس) معتبرين أن المواطن هو مركز الدولة، فليس هناك نظام سياسي طيب بالطبيعة أو سيء بالطبيعة، فالمواطن هو الذي يضع النظام وهو مقياس الحكم عليه، في حين ناد سقراط بأن المقوم الأساسي الثابت في الدولة هو الدستور الذي يجب احترامه والالتزام به طالما إرتضاه المواطن لنفسه في البداية. (لطفى عبد الوهاب يحي ، هوميروس ، 1968 ، ص 66)

د. مرحلة التفصيل: هذه المرحلة تطور فيها الفكر السياسي بحيث أن المفكرين قدموا التفاصيل العملية المرتبطة بمفهوم الدولة، وعليه أصبح الفكر السياسي ضرورة حتمية لتثبيت الاستقرار في المجتمع اليوناني ونذكر منهم:

أ. كسينوفون ومقومات المجتمع المثالي (354-430ق.م):

يعد من المفكرين الذين رأوا أن النظام المثالي للدولة يقوم على قاعدة من المواطنين الذين يتبعون على مستوى المجتمع بأكمله نظام أخلاقي صارم ينمي فيهم صفات الرجولة والبرورة متأثرا في ذلك بإسبرطة، وأكد أن نظام الحكم الفردي يجب أن يؤدي إلى تركيز في يد الحاكم كل السلطات، وعلى المواطنين حق الطاعة بالإقتناع وليس بالقوة، لتحقيق ذلك بفضل قوة شخصية بحاكم وأن يكون وطنيا وكريمًا، ويقدر مصالح ومواقف الآخرين. (رحماني بلقاسم ، الفكر السياسي الإغريقي ، 2024 ، ص 15)

ب. أفلاطون بين دولة التخصص ودولة القانون: فيلسوف أثيني (347-429ق.م) يعد الأكثر إسهامًا في الفكر السياسي اليوناني، بتقديمه تصورًا كحل مشكلة الحكم، واتجاه معاكس للنظام الديمقراطي وذلك يعود لخليفته الأرستقراطية، إضافة إلى انهزام أثينا أمام إسبرطة في الحرب البلبونيزية، باعتبار أن أثينا كان سائدًا فيها النظام الديمقراطي الشعبي وارتكز نظامه المقترح على: الدولة المثالية أو الجمهورية، ورجل الدولة، والقوانين المقوم الأساسي للدولة. جاء ذلك في محاوره "الدولة المثالية" (370-380ق.م) بعدها في محاوره "رجل الدولة" "فإنه كان يميل لرجل الدولة المتخصص الذي يصرف أمور الدول على هدي تخصصه فقط، وأن

يتقيّد بمسؤوليته أمام الشعب والقوانين التي لا يمكن خرقها، وفي محاوره "القوانين"، فإنه تبنى نظامًا مختلفًا (الحكم الفردي وحكم الأقلية، والحكم الشعبي، الديمقراطي)، وأكد أن المكانة الأولى للقانون. (رحماني بلقاسم ، مظاهر الحضارة الإغريقية ، 2025 ، ص 20)

ج. أرسطو ومقوم الطبيعة المتوسطة (322-384ق.م): كان تلميذ أفلاطون لكنه اختلف عنه، ينتمي إلى أسرة متوسطة، قسم النظم إلى حكم فردي، حكم الأقلية والحكم الشعبي، وكل منهم يمكن أن يكون صالحا أو سيئاً حسب طبيعة ممارسته، ويميل إلى الطبقة الوسطى على حساب طبقة الأغنياء وطبقة الفقراء. ويؤكد على أن الدولة التي يسودها الدستور المعتدل المتوازن هي وحدها التي لا يحدث فيها انقسام، إذ حيثما تسوء الطبقة الوسطى يكون احتمال التناحر الطبقي والتمزق الدستوري احتمالاً ضئيلاً.

المراجع:

- لطفي عبد الوهاب يحي، الديمقراطية الأثينية، الاسكندرية، 1969.
- _____، دراسات في حضارة اليونان والرومان، الاسكندرية، 1968.
- علي عبد اللطيف أحمد، التاريخ اليوناني، بيروت، 1976.
- Andrews. A, the Greek Tyrants, Wiston, 1965.
- Cloché. P, la démocratie athénienne, Paris, 1952.
- Higneth. C, History of the Athenians Constitutions, Oxford, 1953.
- لطفي عبد الوهاب يحي، هوميروس، تاريخ حياة عصر، الاسكندرية، 1968.
- رحماني بلقاسم ، الفكر السياسي الإغريقي ، الجزائر ، 2024 .
- رحماني بلقاسم ي، مظاهر الحضارة الإغريقية 2025.

المراجع:

- ابراهيم بنصحي، مصرفي عصر البطلمة، القاهرة، 1973.
- سيد أحمد علي الناصري، الإغريق تاريخهم وحضارتهم، القاهرة، 1976.
- سارنون جورج، تاريخ العلم، ترجمة محمد خلف الله أحمد وآخرون، القاهرة، 1963.
- عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم، القاهرة، 1976.
- علي عبد الواحد وافي، الأدب اليوناني القديم، القاهرة، 1960.
- محمد غلاب، الأدب الهيليني، القاهرة، 1952.
- فوزي مكاوي، تاريخ العراق القديم، 1977.
- Chamoux, la civilisation grecque, Paris, 1963.
- Cloche Paul, la politique étranger d'Athène, de 404 à 338 a v.j.e, Paris, 1934.
- The Cambridge Ancient History, vols, I-VIII, 1924.
- Dussau. R, les civilisations préhelléniques dans le bassin de la mégère, Paris, 1914.
- Jard. A, la formation du peuple grec, Paris, 1923.
- _____, la Grèce Antique, Paris, 1956.